مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة السَّادِسَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تفسير

جزء عم

[سُورَةُ: الْكَافِرُونَ، وَالنَّصْرِ، وَالْمَسَدِ، وَالْإِخْلَاصِ، وَالْفَلَقِ، وَالنَّاسِ]

www.menhag-un.com

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ الْكَافِرُونَ

* سُورَةُ الْكَافِرُونَ مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ سُورَةُ (التَّوْحِيدِ) وَ(الْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ) وَالضَّلَالِ، فَقَدْ دَعَا الْمُشْرِكُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، إِلَىٰ الْمُهَادَنَةِ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَعْبُدَ آلِهَتَهُمْ سَنَةً، وَيَعْبُدُوا إِلَهَهُ سَنَةً، فَنَزَلَتِ السُّورَةُ تَقْطَعُ أَطْمَاعَ الْكَافِرِينَ، وَتَفْصِلُ النِّزَاعَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ: أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَعَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، وَتَرُدُّ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ تِلْكَ الْفِكْرَةَ السَّخِيفَةَ فِي الْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالِ.

جامعة منهاج النبوة www.menhag-un.com

سُورَةُ الْكَافِرُونَ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا سِتُّ آيَاتٍ

الآيات من: ١ إلى: (٦) نهاية السورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾.

www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: المُشْرِكُونَ.

«قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ بِاللهِ»(٢):

﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾: مِنَ الْآلِهَةِ الْبَاطِلَةِ الآنَ.

«﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾: مِنَ الْأَصْنَامِ، وَالْآلِهَةِ الزَّائِفَةِ»(٣).

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾: الآنَ.

«﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾: مِنْ إِلهٍ وَاحِدٍ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ وَحْدَهُ لِلْعِبَادَةِ»(٤).

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾: أَيْ: فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَبَدًا.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾: أَيْ: فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَبَدًا(٥).

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٥٦٣ - ٥٦٤)، و«تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٠٧ - ٥٠٨)، و«أيسر التفاسير» (٥/ ٦٢٣).

(٢) «التفسير الميسر» (ص٦٠٣).

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) وقول أن مَعْنَىٰ الْآيَةِ: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ فِي الْحَالِ، ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ فِي=

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾: مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْوَثَنِيَّةِ وَالْكُفْرِ، ﴿وَلِيَ دِينِ﴾: وَدِينُ الإِسْلَامِ الْعَظِيمِ... فَهَذَا وَجْهٌ.

حَتَّىٰ لَا يُقَالَ: كَرَّرَ لِلتَّأْكِيدِ(١)، حَتَّىٰ لَا يُقَالَ: التَّكْرَارُ لَا يُفِيدُ، حَاشَا وَكَلَّا، هَذَا وَجْهٌ.

«قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ: يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ بِاللهِ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ، وَالْآلِهَةِ الزَّائِفَةِ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ مِنْ إِلَهٍ وَاحِدٍ، هُوَ الْمُسْتَحِقُّ وَحْدَهُ لِلْعِبَادَةِ.

= الْحَالِ، وَ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ فِي الِاسْتِقْبَالِ، ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ فِي الِاسْتِقْبَالِ، عزاه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٥٠٠) لمقاتل بن سليمان وثعلب والزجاج، وعزاه الماوردي في «تفسيره» (٦/ ٣٥٨) للأخفش، واختاره ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٦١)، وقال:«...، وإنما قيل ذلك كذلك؛ لأن الخطاب من الله كان لرسول الله ﷺ في أشخاص بأعيانهم من المشركين، قد علم أنهم لا يؤمنون أبدا، وسبق لهم ذلك في السابق من علمه، فأمر نبيه ﷺ أن يؤيسهم من الذي طمعوا فيه، وحدّثوا به أنفسهم، وأن ذلك غير كائن منه ولا منهم، في وقت من الأوقات، وآيس نبي الله ﷺ من الطمع في إيمانهم ومن أن يفلحوا أبدا، فكانوا كذلك لم يفلحوا ولم ينجحوا إلىٰ أن قتل بعضهم يوم بدر بالسيف وهلك بعض قبل ذلك كافرا».

وانظر مناقشة شيخ الإسلام لهذا القول في «مجموع الفتاوىٰ» (١٦/ ٥٣٩ - ٥٤٧)، وانظر أيضا: «فتح القدير» للشوكاني (٥/ ٦٢٠).

(١) والقول بأن التكرار لتأكيد الأمر وحسم أطماعهم فيه، قاله الفراء، كما في «زاد المسير» لابن الجوزي (٤/ ٥٠٠)، وعزاه البغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٦٤) لأَكْثَرِ أَهْلِ الْمَعَانِي، واختاره الشوكاني في «فتح القدير» (٥/ ٦٢٠).

وَلَا أَنَا عَابِدٌ مُسْتَقْبَلاً مَا عَبَدْتُمْ مِنَ الْأَصْنَامِ، وَالْآلِهَةِ الْبَاطِلَةِ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مُسْتَقْبَلاً مَا أَعْبُدُ.

لَكُمْ دِينُكُمُ الَّذِي أَصْرَرْتُمْ عَلَىٰ اتِّبَاعِهِ، وَلِي دِينِي الَّذِي لَا أَبْغِي غَيْرَهُ»(١).

سَبَبُ التَّكْرَارِ: كُلُّ عَابِدٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَعْبُودٍ يَعْبُدُهُ، وَعِبَادَةٍ يَسْلُكُهَا إِلَيْهِ، وَالرَّسُولُ وَأَتْبَاعُهُ يَعْبُدُونَ اللهَ بِمَا شَرَعَهُ اللهُ، وَلِهَذَا كَانَتْ كَلِمَةُ الإِسْلَامِ: (**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ**): أَيْ لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهَ، وَلَا طَرِيقَ إِلَيهِ إِلَّا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَالمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ غَيرَ اللهِ عِبَادَةً لَمْ يَأْذَنْ بِهَا اللهُ... وَالآنَ:

﴿**لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾: بَرَاءَةٌ مِنْ مَعْبُودِهِمْ.

﴿**وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ**﴾: أَيِ: اللهَ وَحْدَهُ، بَلْ تَعْبُدُونَ مَعْبُودَكُمْ وَآلِهَتَكُمُ الْبَاطِلَةَ.

﴿**وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ**﴾: لَا أَعْبُدُ عِبَادَتَكُمْ، وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي يُحِبُّهُ.

﴿**وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ**﴾: لَا تَقْتَدُونَ بِأَوَامِرِ اللهِ، وَشَرْعِهِ فِي عِبَادَتِهِ... فَهَذَا وَجْهٌ.

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٦٠٣).

www.menhag-un.com

وَوَجْهٌ آخَرُ: «لَا أَعْبُدُ مَنْ تَعْبُدُونَ الآنَ، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ فِي المُسْتَقْبَلِ»... حَكَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَغَيْرُهُ(١).

وَوَجْهٌ لِشَيخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ(٢): «﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾: نَفْيٌ لِلْفِعْلِ؛ لِأَنَّهَا جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ، ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾: نَفْيُ قَبُولِ ذَلِكَ جُمْلَةً بِالْكُلِّيَّةِ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ بِالجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ آكَدُ»(٣).

وَلَقَدِ اخْتَارَ هَذَا الْوَجْهَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-.

وَجْهٌ آخَرُ: هِيَ تَأْكِيدٌ مَحْضٌ، مِثْلُ: وَاللهِ لَا أَفْعَلُ كَذَا، ثُمَّ وَاللهِ لَا أَفْعَلُ.

ولَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَمَا مَرَّ يُغْنِيكَ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالمينَ.

❁ ❁ ❁

(١) قاله البخاري في «صحيحه» في (كتاب التفسير، سورة ١٠٩) وَغَيْره مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٠٨).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٦/ ٥٥١ - ٥٥٤).

(٣) فَكَأَنَّهُ نَفَىٰ الْفِعْلَ، وَكَوْنُهُ قَابِلًا لِذَلِكَ وَمَعْنَاهُ نَفْيُ الْوُقُوعِ وَنَفْيُ الْإِمْكَانِ الشَّرْعِيِّ أَيْضًا، «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٠٨)، وقال: «وَهُوَ قَوْلٌ حَسَنٌ».

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يُوَجِّهَ الخِطَابَ لِلْمُشْرِكِينَ، وَأَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ وَمِمَّا يَعْبُدُونَ، فَتَبَرَّأَ الرَّسُولُ ﷺ كَمَا أَمَرَهُ رَبُّهُ مِنْ عِبَادَةِ مَا يَعْبُدُونَ فِي الحَالِ، وَأَخْبَرَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ فِي ادِّعَائِهِمْ عِبَادَةَ اللهِ وَحْدَهُ فِي الحَالِ أَيْضًا، ثُمَّ كَرَّرَ لَهُمُ البَرَاءَةَ مِنْ مَعْبُودَاتِهِمْ فِي المُسْتَقْبَلِ.

كَذَلِكَ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ لَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ فِي المُسْتَقْبَلِ أَيْضًا، بَلْ سَيَظَلُّونَ فِي كُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَمَا اتَّخَذُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ مَعْبُودَاتٍ بَاطِلَةٍ؛ لِأَنَّ عِبَادَةَ اللهِ وَحْدَهُ لَا تَسْتَقِيمُ مَعَ الإِشْرَاكِ بِهِ، وَدِينَ اللهِ لَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا بِالْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ.

وَهَذَا الْوَجْهُ أَيْسَرُ وَأَسْهَلُ، وَهُوَ مُسْتَحْضَرٌ فِي الذِّهْنِ لَا يَغِيبُ.

فِي الحَالِ، وَفِي الِاسْتِقْبَالِ.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾: الآنَ.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾: الآنَ.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾: فِي المُسْتَقْبَلِ أَبَدًا.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾: فِي المُسْتَقْبَلِ أَبَدًا.

www.menhaj-un.com

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

خَتَمَ هَذِهِ الْبَرَاءَةَ بِإِخْبَارِهِمْ بِأَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي اخْتَارُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ، وَهُوَ الشِّرْكُ، وَلَهُ دِينُهُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ لَهُ وَهُوَ التَّوْحِيدُ، قِيلَ: إِنَّ هَذَا الخِطَابَ بِهَذِهِ الصُّورَةِ لِمَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ أَنَّهُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا، وَلَنْ يَهْتَدُوا.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ(١):

١- فِي الْآيَاتِ: تَقْرِيرُ عَقِيدَةِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.

٢- وَفِيهَا: ثَبَاتُ الرَّسُولِ ﷺ عَلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ، وَإِلَىٰ التَّوْحِيدِ.

٣- وَفِيهَا بَيَانُ أَنَّ المُخَاطَبِينَ بِهَذِهِ السُّورَةِ لَنْ يَهْتَدُوا، سَيَمُوتُونَ عَلَىٰ الشِّرْكِ - نَسْأَلُ اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ.

٤- وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ المَرْءِ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِدِينِهِ، وَعَقِيدَتِهِ حَقَّ التَّمَسُّكِ، وَأَلَّا يَلْتَفِتَ إِلَىٰ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ، مَهْمَا وَجَّهَ المُبْطِلُونَ.

www.menhag-un.com

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦٢٤).

بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ النَّصْرِ

سُورَةُ النَّصْرِ مَدَنِيَّةٌ، هِيَ تَتَحَدَّثُ عَنْ (فَتْحِ مَكَّةَ) الَّذِي عَزَّ بِهِ الْمُسْلِمُونَ، وَانْتَشَرَ الْإِسْلَامُ فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَتَقَلَّصَتْ أَظَافِرُ الشِّرْكِ وَالضَّلَالِ، وَبِهَذَا الْفَتْحِ الْمُبِينِ، دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ، وَارْتَفَعَتْ رَايَةُ الْإِسْلَامِ، وَاضْمَحَلَّتْ مِلَّةُ الْأَصْنَامِ، وَكَانَ الْإِخْبَارُ بِفَتْحِ مَكَّةَ قَبْلَ وُقُوعِهِ، مِنْ أَظْهَرِ الدَّلَائِلِ عَلَىٰ صِدْقِ نُبُوَّتِهِ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

سُورَةُ النَّصْرِ

مَدَنِيَّةٌ، وَآيَاتُهَا ثَلَاثُ آيَاتٍ

الآيات من: ١ إلى: (٣) نهاية السورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾.

www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾: لَا أَذْهَبُ بِكَ إِلَىٰ النَّصْرِ يَا مُحَمَّدُ، وَلَكِنْ أَجِيءُ بِالنَّصْرِ إِلَيْكَ(١).

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾: وَهُوَ فَتْحُ مَكَّةَ(٢)، «إِذَا تَمَّ لَكَ يَا مُحَمَّدُ النَّصْرُ عَلَىٰ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، وَتَمَّ لَكَ فَتْحُهَا ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾».

وَجَعَلَ الإِضَافَةَ إِلَىٰ المَدْحِ وَالتَّعْظِيمِ: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾: فَهَذِهِ الإِضَافَةُ مَدْحٌ لِدِينِ الإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

---

(١) نَظِيرُهُ قوله ﷺ: «**زُوِيَتْ لِيَ الْأَرْضُ**،...» الحديث، يَعْنِي: لَا تَذْهَبْ إِلَىٰ الْأَرْضِ بَلْ تَجِيءُ الْأَرْضُ إِلَيْكَ، «تفسير الرازي» (٣٢/ ٣٣٤ - ٣٣٥).

(٢) أخرج البخاري في «صحيحه» في (كتاب المغازي، باب ٥١، رقم ٤٢٩٤)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ فِي قوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ الآيات، قَالَ: «**هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمَهُ اللهُ لَهُ: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ: فَتْحُ مَكَّةَ، فَذَاكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**»، قَالَ له عُمَرُ: «**مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ**».

والقول بأن الفتح هو: (فتح مكة) هو قول عائشة وأبو سعيد ومجاهد والحسن وغيرهم.

﴿أَفْوَاجًا﴾: جَمَاعَاتٍ(١).

«فَإِذَا تَمَّ النَّصْرُ، وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ يَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ جَمَاعَاتٍ جَمَاعَاتٍ»(٢)، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ لِلْفَتْحِ، وَاسْتَغْفِرْهُ لِلدُّخُولِ فِي الدِّينِ؛ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا.

«إِذَا وَقَعَ ذَلِكَ فَتَهَيَّئْ لِلِقَاءِ رَبِّكَ بِالإِكْثَارِ مِنَ التَّسْبِيحِ بِحَمْدِهِ، وَالإِكْثَارِ مِنَ اسْتِغْفَارِهِ؛ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا عَلَىٰ الْمُسَبِّحِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ، يَتُوبُ عَلَيْهِمْ، وَيَرْحَمُهُمْ، وَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ»(٣).

---

(١) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمداني في «تفسير مجاهد» (ص٧٥٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٦٨)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ قال في قوله: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾: «يَعْنِي: زُمَرًا زُمَرًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ مَوْتُكَ يَا مُحَمَّدُ».

وَقَالَ عِكْرِمَةُ وَمُقَاتِلٌ: «أَرَادَ بِالنَّاسِ أَهْلَ الْيَمَنِ»، فقد أخرج البخاري في «صحيحه» في (كتاب المغازي، باب ٧٤، رقم ٤٣٨٨ و٤٣٨٩ و٤٣٩٠)، وفي مواضع، ومسلم في «صحيحه» في (كتاب الإيمان، باب ٢١، رقم ٥٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا،...» الحديث.

وفي رواية: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ قُلُوبًا،...» الحديث، أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٧٢٦)، ومن طريقه: أحمد في «المسند» (٢/ ٢٧٧، رقم ٧٧٢٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧/ رقم ٣٣٦٩)، وروي عن ابن عباس وعكرمة مرفوعا نحوه.

(٢) «التفسير الميسر» (ص٦٠٣).

(٣) المصدر السابق.

www.menhag.com

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

لمَّا ذَكَرَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذَلِكَ لِنَبِيِّهِ ﷺ عَلِمَ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَنْعَىٰ نَفْسَهُ إِلَيْهِ، وَيُخْبِرُهُ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ ﷺ.

لِمَاذَا ذَكَرَ النَّصْرَ، وَالْفَتْحَ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾؟

«لِأَنَّ النَّصْرَ يُوجَدُ مِنْ غَيْرِ فَتْحٍ، كَبَدْرٍ، وَلِأَنَّ الْفَتْحَ قَدْ يُوجَدُ مِنْ غَيْرِ نَصْرٍ، كَإِجْلَاءِ بَنِي النَّضِيرِ، فَقَدْ فَتَحَ دِيَارَهُمْ، وَلَمْ يَأْخُذْ الْقَوْمَ، وَإِنَّمَا أَجْلَاهُمْ عَنْ دِيَارِهِمْ، وَأَمَّا فَتْحُ مَكَّةَ، فَقَدِ اجْتَمَعَ لَهُ فِيهِ الْأَمْرَانِ، وَصَارَ الخَلْقُ فِي يَدَيْهِ ثُمَّ أَطْلَقَهُمْ، فَمَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِالنَّصْرِ، وَالْفَتْحِ مَعًا»(١).

إِذَا رَأَيْتَ يَا مُحَمَّدُ نَصْرَ اللهِ لَكَ، وَتَأْيِيدَهُ إِيَّاكَ بِفَتْحِ مَكَّةَ، وَبِجَعْلِهَا دَارَ إِسْلَامٍ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ عَلَىٰ الْعُمُومِ يَدْخُلُونَ فِي الإِسْلَامِ جَمَاعَاتٍ جَمَاعَاتٍ، عِنْدَئِذٍ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ، قُلْ: سُبْحَانَ اللهِ، وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَمَا شَابَهَ ذَلِكَ.

وَأَكْثِرْ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ؛ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا.

---

(١) «تفسير الرازي» (٣٢/ ٣٣٨).

www.menhag-un.com

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ إِلَّا يَقُولُ: «**سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**»(١).

وَقَدْ عَلِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَكَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ دُنُوَّ أَجَلِهِ ﷺ(٢).

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في (كتاب التفسير، سورة ١١٠، رقم ٤٩٦٧ و٤٩٦٨ وفي مواضع، ومسلم في «صحيحه» في (كتاب الصلاة، باب ٤٢، رقم ٤٨٤).

(٢) «البحر المحيط في التفسير» (١٠/ ٥٦٤).

جامعة منهاج النبوة www.menhaj.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ(١):

١- فِي الْآيَاتِ الْبِشَارَةُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِنَصْرِ اللهِ وَفَتْحِ مَكَّةَ، وَدُخُولِ النَّاسِ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا.

٢- وَفِيهَا الْأَمْرُ إِلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يَشْكُرَ اللهَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَيُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهِ وَيَسْتَغْفِرُهُ.

٣- وَفِيهَا الْإِشَارَةُ إِلَىٰ أَنَّ الدِّينَ الإِسْلَامِيَّ سَيَسْتَمِرُّ نَصْرُهُ، وَظُهُورُهُ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَهُ، وَعَانَدَهُ، وَشَاقَقَهُ.

٤- وَفِي الْآيَاتِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ دُنُوِّ أَجَلِ الرَّسُولِ ﷺ؛ لِذَلِكَ قَالَ ﷺ عِنْدَ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ: «**نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي**»(٢).

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٩٣٦)، و«أيسر التفاسير» (٥/ ٦٢٦).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٩٣)، والدارمي في «مسنده» (رقم ٨٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠/ ٣٤٩، رقم ١١٦٤٨)، والطبراني في «الأوسط» (١/ رقم ٨٨٣)، وفي «الكبير» (١١/ رقم ١١٩٠٣ و١١٩٠٤ و١١٩٠٧)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاطِمَةَ فَقَالَ: «**قَدْ نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي**»، فَبَكَتْ،...الحديث، وحسن إسناد الألباني في هامش =

٥- وَفِي الْآيَاتِ وُجُوبُ الشُّكْرِ عِنْدَ تَحَقُّقِ النِّعْمَةِ.

=

«المشكاة» (٣/ رقم ٥٩٦٩)، وفي «الصحيحة» (٧/ ١١٠٨، رقم ٣٣٦٩).
والحديث في «الصحيحين» من قول ابن عباس، وقد تقدم.

جامعة منهاج النبوة www.menhaj-un.com

بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ المَسَدِ

* سُورَةُ الْمَسَدِ مَكِّيَّةٌ، وَتُسَمَّىٰ سُورَةَ اللَّهَبِ، وَسُورَةَ تَبَّتْ، وَقَدْ تَحَدَّثَتْ عَنْ هَلَاكِ (أَبِي لَهَبٍ) عَدُوِّ اللهِ وَرَسُولِهِ، الَّذِي كَانَ شَدِيدَ الْعَدَاوَةِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، يَتْرُكُ شُغْلَهُ وَيَتْبَعُ الرَّسُولَ ﷺ، لِيُفْسِدَ عَلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَيَصُدَّ النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَقَدْ تَوَعَّدَتْهُ السُّورَةُ فِي الْآخِرَةِ، بِنَارٍ مُوقَدَةٍ يَصْلَاهَا وَيُشْوَىٰ بِهَا، وَقُرِنَتْ زَوْجَتُهُ بِهِ فِي ذَلِكَ، وَاخْتَصَّتْهَا بِلَوْنٍ مِنَ الْعَذَابِ شَدِيدٍ، هُوَ حَبْلٌ مِنْ لِيفٍ تُجْذَبُ بِهِ فِي النَّارِ، زِيَادَةً فِي التَّنْكِيلِ وَالدَّمَارِ.

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

سُورَةُ المَسَدِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا خَمْسُ آيَاتٍ

الآيات من: ١ إلى: (٥) نهاية السورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾.

www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾: دُعاءٌ عَلَيْهِ، ﴿وَتَبَّ﴾: خَبَرٌ عَنْهُ(١).

«خَسِرَتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ(٢)، وَشَقِيَ بِإِيذَاءِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، .....

---

(١) فَأَخْرَجَ قوله: ﴿تَبَّتْ﴾ مَخْرَجَ الدُّعَاءِ عَلَيْهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عَبَسَ:١٧]، وَقوله: ﴿وَتَبَّ﴾ مَخْرَجَ الْخَبَرِ، أَيْ: كَانَ ذَلِكَ وَحَصَلَ، كما تَقُولُ للرجل: (أَهْلَكَكَ اللهُ، وَقَدْ أَهْلَكَكَ)، أو تقول: (جَعَلَكَ اللهُ صَالِحًا، وَقَدْ جَعَلَكَ)، وَيُؤَيِّدُهُ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ: (**وَقَدْ تَبَّ**).

أخرج البخاري في «صحيحه» في (كتاب التفسير، سورة ١١١، رقم ٤٩٧١)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان، باب ٨٩، رقم ٢٠٨): أن الأَعْمَش قَرَأَهَا هَكَذَا: (**وَقَدْ تَبَّ**)، وزاد ابن منده في «الإيمان» (٢/ رقم ٩٥٠): «قَالَ الْأَعْمَشُ: وَهَكَذَا هِيَ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَقِرَاءَتُهُ فِي مُصْحَفِهِ عَلَىٰ هَذَا».

وانظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩٨)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ٦٧٥)، و«تفسير الرازي» (٣٢/ ٣٥٠)، و«تفسير ابن كثير» (٨/ ٥١٤).

(٢) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٧٣١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٧٥ - ٦٧٦)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، في قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾، قَالَ: «**خَسِرَتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَخَسِرَ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٦٦٦) لابن المنذر أيضا، وهو قول =

وَقَدْ تَحَقَّقَ خُسْرَانُهُ أَبِي لَهَبٍ»(١).

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ﴾: نَافِيَةٌ، يَعْنِي لَمْ يُغْنِي عَنْهُ شَيْئًا مَالُهُ، وَلَا مَا كَسَبَهُ مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ، وَمِنْ وَلَدٍ وَمَا أَشْبَهَ.

فَـ﴿مَآ﴾: نَافِيَةٌ(٢)، أَوْ ﴿مَآ﴾: اسْتِفْهَامِيَّةٌ(٣): ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾؟

يَعْنِي مَا الَّذِي أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ: مِنْ وَلَدٍ(٤)، وَمَا أَشْبَهَ؟

=

ابن عباس وابن عمر وابن زيد والكلبي ومقاتل والفراء وابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص٥٤١)، واختاره ابن جرير الطبري.

(١) «التفسير الميسر» (ص٦٠٣).

(٢) فَيَكُونُ ذَلِكَ إِخْبَارًا بِأَنَّ الْمَالَ وَالْكَسْبَ لَا يَنْفَعُ فِي ذَلِكَ.

(٣) بِمَعْنَىٰ الْإِنْكَارِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَىٰ أَيُّ تَأْثِيرٍ كَانَ لِمَالِهِ وَكَسْبِهِ فِي دَفْعِ الْبَلَاءِ عَنْهُ.

(٤) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمداني في «تفسير مجاهد» (ص٧٥٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٧٧)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾، قَالَ: «**وَلَدُهُ هُمْ مِنْ كَسْبِهِ**»، وهو قول عائشة وابن عباس وعطاء والكلبي ومقاتل والزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٣٧٥)، وهو قول جمهور المفسرين.

وَيُؤَيِّدُهُ ما أخرجه أبو داود في «السنن» في (كتاب البيوع، باب ٧٩، رقم ٣٥٢٨ و٣٥٢٩)، والترمذي في «الجامع» في (كتاب الأحكام، باب ٢٢، رقم ١٣٥٨)، والنسائي في «المجتبىٰ» (٧/ ٢٤٠ - ٢٤١)، وابن ماجه في «السنن» في (كتاب التجارات، باب ١ و٦٤، رقم ٢١٣٧ و٢٢٩٠)، من حديث: عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ

=

«مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ، فَلَنْ يَرُدَّا عَنْهُ شَيْئًا مِنْ عَذَابِ اللهِ إِذَا نَزَلَ بِهِ»(١).

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾: سَيَدْخُلُ نَارًا يَصْطَلِي بِحَرِّهَا، وَلَفْحِهَا(٢).

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا﴾: وَالتَّنْكِيرُ لِلتَّعْظِيمِ، وَالتَّفْخِيمِ، وَالتَّخْوِيفِ، وَالتَّهْوِيلِ، ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾: هِيَ أُمُّ جَمِيلٍ الْعَوْرَاءُ(٣)، ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾: وَصَفَهَا عَلَىٰ الذَّمِّ، أَوْ عَلَىٰ الحَالِ.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾: أَذُمُّ حَمَّالَةَ الحَطَبِ، أَوْ فِي حَالَةِ كَوْنِهَا حَمَّالَةً لِلْحَطَبِ(٤).

= رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَطْيَبِ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَوَلَدُهُ مِنْ كَسْبِهِ»، وصححه الألباني في «الإرواء» (٦/ رقم ١٦٢٦).

(١) «التفسير الميسر» (ص٦٠٣).

(٢) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦٢٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) قَرَأَ عَاصِمٌ ﴿حَمَّالَةَ﴾ بِالنَّصْبِ وَلَهُ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: عَلَىٰ الذَّمِّ وَالشَّتْمِ لَا لِلتَّخْصِيصِ، والمعنىٰ: أعني حَمَّالَةَ الْحَطَبِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟﴾ [الأحزاب:٦١]، وَالثَّانِي: علىٰ الحال، أي: وامرأته حال كونها حمالة للحطب.

وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: (حَمَّالَةُ) بِالرَّفْعِ، وَلَهُ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: عَلَىٰ النَّعْتِ لِامْرَأَتِهِ، أي: سَيَصْلَىٰ نَارًا هُوَ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ، وَالثَّانِي: عَلَىٰ أَنَّهُ خَبَرٌ لِامْرَأَتِهِ، أو لِمُبْتَدَأٍ =

«سَيَدْخُلُ نَارًا مُتَأَجِّجَةً؛ هُوَ وَامْرَأَتُهُ الَّتِي كَانَتْ تَحْمِلُ الشَّوْكَ، فَتَطْرَحُهُ فِي طَرِيقِ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِأَذِيَّتِهِ ﷺ»(١).

﴿فِي جِيدِهَا﴾: فِي عُنُقِهَا، ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾: المَسَدُ: اللِّيفُ(٢)، وَهُوَ حَبْلٌ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، تُرْفَعُ بِهِ عَلَىٰ شَفِيرِ جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُرْمَىٰ بِهَا إِلَىٰ أَسْفَلِهَا، ثُمَّ كَذَلِكَ دَائِمًا وَأَبَدًا(٣)، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

=

مَحْذُوفٍ، تقديره: هِيَ حَمَّالَةٌ، انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٦٧٨)، و«تفسير البغوي» (٨/ ٥٨٣)، و«فتح القدير» للشوكاني (٥/ ٦٢٨).

(١) «التفسير الميسر» (ص٦٠٣)، وقد أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٧٩)، بإسناد صحيح، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾، قَالَ: «**كَانَتْ تَأْتِي بِأَغْصَانِ الشَّوْكِ، فَتَطْرَحُهَا بِاللَّيْلِ فِي طَرِيقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٦٦٧) لابن أبي حاتم أيضا، وهو قول عطية العَوْفِيُّ والضحاك ومقاتل، وروي عن ابن عباس نحوه، واختاره ابن جرير الطبري.

(٢) أَيْ: اللِّيفُ الَّذِي تُفْتَلُ مِنْهُ الحبال، وقد أخرج إبراهيم الحربي في «غريب الحديث» (٢/ ٥١٩)، والطبري كما في «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥١٦)، من طريق: وَكِيعٍ، عَنْ سُلَيْمٍ مَوْلَىٰ الشَّعْبِيِّ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: «**الْمَسَدُ: اللِّيفُ**»، وهو قول مقاتل.

وقال ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص١٠٣): «الْمَسَدُ: كُلُّ ما ضُفِرَ وفُتِل من اللِّيف وغيره»، وقال البغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٨٣): «الْمَسَدُ: مَا فُتِلَ وَأُحْكِمَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ»، وقال ابن فارس في «مقاييس اللغة» مادة: مسد (٥/ ٣٢٣): «الْمِيمُ وَالسِّينُ وَالدَّالُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَىٰ جَدْلِ شَيْءٍ وَطَيِّهِ»، واختاره ابن جرير الطبري (٢٤/ ٦٨٢).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥١٧) وعزاه لِبَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وقد أخرج نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٨١)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾، قَالَ:

=

وَكَانَتْ تُؤْذِي النَّبِيَّ ﷺ، وَجَاءَتْ وَهُوَ فِي مَجْلِسٍ مَعَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، وَفِي يَدِهَا فِهْرٌ -وَهُوَ الحَجَرُ يَمْلَأُ الكَفَّ- وَجَاءَ فِي وَجْهِهَا الشَّرُّ، فَخَافَ أَبُو بَكْرٍ مِنْ شَرِّهَا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: لَنْ تَبْلُغَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَجَاءَتْ حَتَّىٰ وَقَفَتْ عَلَيْهِمَا ﷺ، وَرَضِيَ اللهُ عَنِ الصِّدِّيقِ.

فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ! أَيْنَ صَاحِبُكَ؟ وَالنَّبِيُّ بِجَانِبِهِ، فَلَمْ تَرَهُ.

وَقَالَ لَهَا أَبُو بَكْرٍ: وَمَا تُرِيدِينَ مِنْهُ؟

قَالَتْ: بَلَغَنِي أَنَّهُ يَهْجُونِي.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ مَا هَجَاكِ. لِأَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِشِعْرٍ، وَلَيْسَ بِهِجَاءٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَقْرِيرٌ لِمَا سَيَكُونُ مِنْ شَأْنِهَا عَلَىٰ حَسَبِ مَا قَدَّرَ عَلَيْهَا رَبُّهَا.

فَقَالَ: وَاللهِ مَا هَجَاكِ.

قَالَتْ: أَنْتَ عِنْدِي صَادِقٌ. ثُمَّ ذَهَبَتْ وَالنَّبِيُّ ﷺ بِجِوَارِهِ لَا تَرَاهُ.

وَذَهَبَتْ تَقُولُ:

مُذَمَّمًا عَصَيْنَا ** وَدِينَهُ قَلَيْنَا

=

«**حَبْلٌ مِنْ نَارٍ فِي رَقَبَتِهَا**»، وقال الثوري: «**حَبْلٌ فِي عُنُقِهَا فِي النَّارِ**» أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٨١)، بإسناد صحيح، وهو قول الضحاك كما في «تفسير البغوي» (٨/ ٥٨٣)، وأبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٣/ ٣١٥).

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: يَا أَبَا بَكْرٍ! أَلَا تَرَىٰ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي؟ إِنَّمَا يَشْتُمُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ(١).

---

(١) أخرجه الحميدي في «مسنده» (رقم ٣٢٥)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (١/ رقم ٥٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٦١، رقم ٣٣٧٦)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٩٥)، من طريق: الْوَلِيدِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنِ ابْنِ تَدْرُسَ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ:

«لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ أَقْبَلَتِ الْعَوْرَاءُ أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ وَلَهَا وَلْوَلَةٌ وَفِي يَدِهَا فِهْرٌ، وَهِيَ تَقُولُ: «مُذَمَّمٌ أَبَيْنَا، وَدِينَهُ قَلَيْنَا، وَأَمْرَهُ عَصَيْنَا»، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَأَبُو بَكْرٍ إِلَىٰ جَنْبِهِ.

فَلَمَّا رَآهَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَرَاكَ».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي**» وَقَرَأَ قُرْآنًا اعْتَصَمَ بِهِ.

فَأَقْبَلَتْ حَتَّىٰ وَقَفَتْ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ، وَلَمْ تَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي».

فَقَالَ: «لَا وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ مَا هَجَاكِ».

قَالَ: فَوَلَّتْ وَهِيَ تَقُولُ: «قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي بِنْتُ سَيِّدِهَا».

والحديث ذكره الألباني في «صحيح السيرة النبوية» (ص١٣٧ - ١٣٨)، وروي نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وأما قوله: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَا تَرَىٰ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي؟ إِنَّمَا يَشْتُمُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ**»، فقد أخرجه البخاري في «صحيحه» في (كتاب المناقب، باب ١٧، رقم ٣٥٣٣)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلاَ تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ، يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ**».

«فِي عُنُقِهَا حَبْلٌ مُحْكَمٌ مِنْ لِيفٍ شَدِيدٍ، خَشِنٍ تُرْفَعُ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، ثُمَّ [تُلْقَىٰ](١) إِلَىٰ أَسْفَلِهَا»(٢).

وَالجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، كَانَتْ تَأْخُذُ حَبْلًا تَحْتَطِبُ بِهِ شَوْكًا؛ لِتُلْقِيَهُ فِي طَرِيقِ الرَّسُولِ ﷺ.

إِذًا فَحَبْلُهَا فِي عُنُقِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ تُرْفَعُ بِهِ إِلَىٰ شَفِيرِهَا، ثُمَّ تُلْقَىٰ عَلَىٰ أُمِّ رَأْسِهَا، هَكَذَا دَائِمًا أَبَدًا، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا أَمَرَهُ رَبُّهُ أَنْ يُنْذِرَ عَشِيرَتَهُ الْأَقْرَبِينَ صَعِدَ الصَّفَا، وَجَعَلَ يُنَادِي بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ قَائِلًا: وَاصَبَاحَاهُ! وَاصَبَاحَاهُ!

فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ قُرَيْشٌ فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَامَ عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ، فَانْتَدَبَ نَفْسَهُ، وَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ سِوَاهُ، وَلَمْ يَعْطِفْهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَحِمٌ، وَلَمْ يَرْقُبْ فِيهِ قَرَابَةً، بَلْ قَامَ -وَهُوَ عَمُّه- يَنْفُضُ يَدَهُ، وَيَقُولُ: تِبًّا لَكَ سَائِرَ هَذَا الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟! فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ السُّورَةَ.

أَخْرَجَ ذَلِكَ بِنَحْوِهِ الْبُخَارِيُّ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا(٣).

(١) في الأصل: [تُرْمىٰ].

(٢) «التفسير الميسر» (ص٦٠٣).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» في (كتاب التفسير، سورة ١١١، رقم ٤٩٧١ و٤٩٧٢ و٤٩٧٣) وفي مواضع، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان، باب ٨٩، رقم ٢٠٨).

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يَقُولُ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنْ هَذَا الْأَمْرِ: خَسِرَ أَبُو لَهَبٍ، وَتَحَقَّقَتْ خُسْرَاهُ، وَهَلَاكُهُ فَـ﴿تَبَّتْ﴾ الْأُولَىٰ دُعَاءٌ عَلَيْهِ بِالخَيْبَةِ وَالخَسَارَةِ وَالنَّكَالِ، وَ﴿تَبَّ﴾ الثَّانِيَةُ خَبَرٌ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ خَسِرَ فِعْلاً، وَتَحَقَّقَ مَا دُعِيَ بِهِ عَلَيْهِ.

وَأَبُو لَهَبٍ: هُوَ عَبْدُ الْعُزَّىٰ، أَحَدُ أَعْمَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ صَاحِبَ مَالٍ وَوَلَدٍ، فَاعْتَزَّ بِمَالِهِ وَوَلَدِهِ، وَقَالَ: إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ ابْنُ أَخِي حَقًّا: فَإِنِّي أَقْتَدِي وَأَفْتَدِي.

فَإِنِّي أَقْتَدِي: بِأَبَائِنَا فِيمَا كَانُوا عَلَيْهِ، هُمْ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَقْلِ.

وَأَفْتَدِي: بِنَفْسِي وَمَالِي وَوَلَدِي.

فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ خَابَ وَخَسِرَ، وَلَمْ يُغْنِي عَنْهُ شَيْئًا مِنْ عَذَابِ اللهِ، لَا مَالُهُ وَلَا وَلَدُهُ.

عَبَّرَ عَنِ الْوَلَدِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾؛ لِأَنَّ الْوَلَدَ مِنْ كَسْبِ أَبِيهِ.

وَسَوْفَ يَدْخُلُ نَارًا، يَصْلَىٰ بِحَرِّهَا تَتَلَهَّبُ عَلَيْهِ، وَسَيَصْلَىٰ وَيُعَذَّبُ بِهَذِهِ النَّارِ أَيْضًا امْرَأَتُهُ، وَهِيَ أُمُّ جَمِيلٍ، أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أَخْبَرَنَا عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَحْمِلُ الشَّوْكَ تَضَعُهُ فِي طَرِيقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِإِيذَائِهِ، ثُمَّ وَصَفَ سُبْحَانَهُ لَوْنًا مِنْ عَذَابِهَا فِي النَّارِ، فَأَخْبَرَ أَنَّهَا تُطَوَّقُ فِي عُنُقِهَا بِحَبْلٍ أُحْكِمَ فَتْلُهُ مِنْ مَسَدِ جَهَنَّمَ، نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ(١):

١- فِي الْآيَاتِ ذَمُّ أَبِي لَهَبٍ، وَامْرَأَتِهِ؛ لِمُعَادَاتِهِمَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَلِمُعَارَضَتِهِمَا لِدَعْوَتِهِ ﷺ.

٢- وَفِي الْآيَاتِ أَنَّ كَثْرَةَ المَالِ وَالْوَلَدِ لَا تُغْنِي، وَلَا تَمْنَعُ مِنْ دُخُولِ النَّارِ لِمَنْ كَفَرَ بِاللهِ جَلَّ وَعَلَا.

٣- فِي الْآيَاتِ حُرْمَةُ أَذِيَّةِ المُؤْمِنِينَ مُطْلَقًا.

٤- وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ آيَةٌ بَاهِرَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ أَنْزَلَ هَذِهِ السُّورَةَ، وَأَبُو لَهَبٍ، وَامْرَأَتُهُ لَمْ يَهْلِكَا بَعْدُ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ فِي النَّارِ وَلَا بُدَّ، وَمِنْ لَازِمِ ذَلِكَ أَنَّهُمَا لَا يُسْلِمَانِ، فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ.

وَهَذِهِ مُعْجِزَةٌ مِنْ مُعْجِزَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَآيَةٌ مِنْ آيَاتِهِ الْبَاهِرَةِ؛ لِأَنَّ اللهَ طَبَعَ عَلَىٰ هَذِهِ الْقُلُوبِ وَجَعَلَهَا فِي أَكِنَّةٍ، هِيَ لَا تَفْقَهُ وَلَا تَعِي؛ لِأَنَّ هَذَا وَامْرَأَتَهُ كَانَا مِنَ المُمْكِنِ أَنْ يَقُولَا: مُحَمَّدٌ يَتَوَعَّدُنَا بِالنَّارِ، مَا الَّذِي يُنْجِي مِنَ النَّارِ يَا مُحَمَّدُ؟

فَيَقُولُ ﷺ: أَنْ تُؤْمِنَا بِاللهِ الْوَاحِدِ الْغَفَّارِ، وَأَنْ تَتَّبِعَا النَّبِيَّ المُخْتَارَ.

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٩٣٦)، و«أيسر التفاسير» (٥/ ٦٢٧).

www.menhag-un.com

فَيَقُولَانِ: إِذًا سَوْفَ نُثْبِتُ لِلنَّاسِ جَمِيعًا عَلَىٰ مَرِّ الْعُصُورِ، وَكَرِّ الدُّهُورِ أَنَّ مَا تَقُولُ لَيْسَ بِحَقٍّ: (نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ).

وَلَمْ يَفْعَلَا، وَمَاتَا عَلَىٰ كُفْرِهِمَا، فَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ هَذَا الْمَعْنَىٰ.

٥- وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ عَدَمُ إِغْنَاءِ الْقَرَابَةِ شَيْئًا مَعَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ، وَمَنْ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ عَمَلُهُ بَطَّأَ بِهِ نَسَبُهُ وَحَسَبُهُ.

فَأَبُو لَهَبٍ عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ فِي هَذَا الدَّرْكِ الهَابِطِ مِنَ النَّارِ، وَزَيْدٌ مَوْلَىٰ رَسُولِ اللهِ وَهُوَ مَذْكُورٌ بِاسْمِهِ فِي كِتَابِ اللهِ، فَإِذَا مَا تَلَوْتَ كِتَابَ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَذَكَرْتَ زَيْدًا فِي المَوْضُوعِ الَّذِي ذَكَرَهُ فِيهِ اللهُ أَخَذْتَ بِذِكْرِ اسْمِ زَيْدٍ ثَلَاثِينَ حَسَنَةً.

«**لَا أَقُولُ: أَلِف، لَام، مِيم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**»(١)، فَزَايٌ حَرْفٌ، وَيَاءٌ حَرْفٌ، وَدَالٌ حَرْفٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا.

فَعَدَمُ إِغْنَاءِ الْقَرَابَةِ شَيْئًا مَعَ الشِّرْكِ، وَالْكُفْرِ مِمَّا تُقَرِّرُهُ هَذِهِ السُّورَةُ.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» في (كتاب فضائل القرآن، باب ١٦، رقم ٢٩١٠)، من حديث: ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**».
وجود إسناده الألباني في «الصحيحة» (٧/ رقم ٣٣٢٧).

www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ الإِخْلَاصِ

* سُورَةُ الْإِخْلَاصِ مَكِّيَّةٌ، وَقَدْ تَحَدَّثَتْ عَنْ صِفَاتِ اللهِ جَلَّوَعَلَا الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، الْجَامِعِ لِصِفَاتِ الْكَمَالِ، الْمَقْصُودِ عَلَىٰ الدَّوَامِ، الْغَنِيِّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، الْمُتَنَزِّهِ عَنْ صِفَاتِ النَّقْصِ، وَعَنِ الْمُجَانَسَةِ وَالْمُمَاثَلَةِ، وَرَدَّتْ عَلَىٰ النَّصَارَىٰ الْقَائِلِينَ بِالتَّثْلِيثِ، وَعَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ الْوَثَنِيِّينَ، تَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، الَّذِينَ جَعَلُوا لِلَّهِ الذُّرِّيَّةَ وَالْبَنِينَ.

جامعة منهاج النبوة www.menhag-un.com

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا أَرْبَعُ آيَاتٍ

الآيات من: ١ إلى: (٤) نهاية السورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: «هُوَ»: ضَمِيرُ الشَّأْنِ(٢)؛ أَيِ: الشَّأْنُ أَنَّ المَسْئُولَ عَنْهُ هُوَ اللهُ(٣).

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: قُلْ هُوَ اللهُ ﴿أَحَدٌ﴾: خَبَرٌ لِمُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: هُوَ اللهُ، فَالتَّقْدِيرُ: قُلِ: الشَّأْنُ أَنَّ المَسْئُولَ عَنْهُ هُوَ اللهُ، هُوَ أَحَدٌ.

فَـ﴿أَحَدٌ﴾: خَبَرٌ لِمُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ هُوَ.

وَأَحَدٌ: وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ، وَفِي صِفَاتِهِ، وَفِي أَفْعَالِهِ(٤).

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦٢٨ - ٦٢٩).

(٢) لِأَنَّهُ مَوْضِعُ تَعْظِيمٍ، وَعَلَىٰ هَذَا التَّقْرِيرِ يَكُونُ (اللهُ): مرفوعا بِالِابْتِدَاءِ وَ(أَحَدٌ): خَبَرُهُ، وَالْجُمْلَةُ تَكُونُ خَبَرًا عَنْ (هُوَ)، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الْأَنْبِيَاءِ:٩٧].

و(ضمير الشأن)، هو: ضمير غيبة يفسره جملة خبرية بعده مصرح بجزأيها، ويكون مذكرا باعتبار الشأن، ومؤنثا باعتبار القصة، ويؤتىٰ به للدلالة علىٰ قصد المتكلم استعظام السامع حديثه، انظر: حاشية الصبان علىٰ «شرح الأشمونىٰ لألفية ابن مالك» (٢/ ٨٦).

(٣) «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٧٧).

(٤) والقول بأن (أحد) بمعنىٰ: (واحد)، هو قول ابن عباس رضي الله عنهما كما في «زاد المسير» =

أَحَدٌ: أَصْلُهَا وَحَدٌ، قُلِبَتِ «الْوَاوُ» فِيهَا هَمْزَةً، قَالَ النَّابِغَةُ[١]:

كَـــأَنَّ رَحْلـــي، وَقَـــدْ زَالَ النَّهَـــارُ بِنَـــا[٢]

يَـومَ[٣] الْجَلِيلِ[٤]، عَلَىٰ مُسْتَأْنِسٍ[٥] وَحَدِ[٦]

=

لابن الجوزي (٤/ ٥٠٦) والخليل بن أحمد كما في «العين» (٣/ ٢٨٠) والفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٩٩) وأبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٣١٦) والزجاج في «تفسير أسماء الله الحسنىٰ» (رقم ٦٨) وغيرهم، واختاره ابن جرير الطبري (٢٤/ ٦٨٩)، وقال: «هو أشبه بمذاهب العربية».

(١) هو: أبو أمامة المعروف بالنابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع، أحد شعراء الجاهلية المشهورين ومن أعيان فحولهم، من أهل الحجاز، انظر: «تاريخ دمشق» (١٩/ ٢٢١، ترجمة ٢٣١٥)، و«الأعلام» للزركلي (٣/ ٥٤ - ٥٥).

(٢) (زَالَ النَّهَارُ بِنَا)، أيْ: انتصف النهار علينا.

(٣) في «الديوان»: [بِذِي].

(٤) (الْجَلِيْل): اسم واد بالحجاز ينْبت فيه (الْجَلِيْل)، وهو: نَبْتٌ ضَعِيفٌ قَصِيرٌ شَبِيهٌ بخوص النخل، انظر: «الصحاح» (٥/ ١٨٨١)، و«لسان العرب» مادة: ثمم (١٢/ ٧٩ - ٨١).

(٥) (المستأنس) الذي يخاف الناس فيَتَبَصَّرُ وَيَتَلَفَّتُ هَلْ يَرَىٰ أَحداً، أَراد: أَنه مَذْعُور فَهُوَ أَجَدُّ لعَدْوِه وَفِرَارِهِ وَسُرْعَتِهِ، انظر: «تهذيب اللغة» (١٣/ ٦٠)، و«لسان العرب» (٦/ ١٥).

(٦) «ديوان النابغة الذبياني» مع شرح ابن السكيت -تحقيق الدكتور شكري فيصل، نشر دار الفكر- (البيت رقم ٩، ص٦).

«عَلَىٰ مُسْتَأْنِسٍ وَحَدٍ»: لَمْ تُقْلَبِ الْوَاوُ المَفْتُوحَةُ هَمْزَةً إِلَّا فِي «أَحَد»، وَفِي امْرَأَةٍ أَنَاةٍ؛ أَيْ: وَنَاة، مِنَ الْوَنَىٰ وَهُوَ الْفُتُورُ، وَقُلِبَتِ المَضْمُومَةُ فِي «أُجُوه» فَصَارَتْ: «وُجُوه»، وَالمَكْسُورَةُ فِي «إِشَاح» فَصَارَتْ: «وِشَاحا».

«﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: قُلْ يَا مُحَمَّدُ، هُوَ اللهُ المُنْفَرِدُ بِالْأُلُوهِيَّةِ، لَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ فِيهَا»(١).

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾: هُوَ المَقْصُودُ وَحْدَهُ فِي قَضَاءِ الحَوَائِجِ، وَتَحْصِيلِ الرَّغَائِبِ(٢)، وَ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ، يُطعِمُ وَلَا يُطْعَمُ(٣).

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٦٠٤).

(٢) أخرج عبد الرحمن بن الحسن في «تفسير مجاهد» (ص٧٦٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٧٣٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ رقم ٦٧١ و٦٧٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٩٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (رقم ٩٩)، بإسناد صحيح، عَنْ أَبِي وَائِلٍ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ، قَالَ: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: «**السَّيِّدُ الَّذِي قَدِ انْتَهَىٰ سُؤْدُدُهُ**»، ذكره البخاري في «صحيحه» معلقا في (كتاب التفسير، سورة ١١٢).

قال ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص٥٤٢): «**لأن الناس يَصْمِدُونه في حوائجهم**»، وهو قول ابن عباس وإبراهيم النخعي، وأبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٣/ ٣١٦)، والزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٣٧٧)، واختاره ابن جرير الطبري (٢٤/ ٦٩٢ - ٦٩٣)، وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه نحوه، وقال ابن الأنباري في «الزاهر» (١/ ٨٣): «قال أهل اللغة أجمعون لا اختلاف بينهم في ذلك: الصمد عند العرب: السيِّد الذي ليسَ فوقه أحد، الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم وأمورهم».

(٣) أخرج عبد الرحمن بن الحسن في «تفسير مجاهد» (ص٧٦٠)، وعبد الرزاق في =

﴿لَمْ يَلِدْ﴾: لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ؛ لِانْتِفَاءِ مَنْ يُجَانِسُهُ، [﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾: لَا يَفْنَىٰ؛ إِذْ لَا شَيْءَ يُولَدُ إِلَّا وَهُوَ فَانٍ بَائِدٌ لَا مَحَالَةَ](١).

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾: لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ شَبِيهًا لَهُ، أَوْ مَثِيلًا لَهُ؛ إِذْ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١](٢).

«قُلْ يَا مُحَمَّدُ: هُوَ اللهُ المُنْفَرِدُ بِالْأُلُوهِيَّةِ لَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ فِيهَا، اللهُ وَحْدَهُ المَقْصُودُ فِي قَضَاءِ الحَوَائِجِ، وَتَحْصِيلِ الرَّغَائِبِ، لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ وَلَا

=

«تفسيره» (٣/ رقم ٣٧٣٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ رقم ٦٧٣ و٦٧٤ و٦٧٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٩٠)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «**الصَّمَدُ: الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ**»، وروي نحوه عن بريدة مرفوعا ولا يصح، وهو قول ابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير وعامر الشعبي وأبو صالح وميسرة والضحاك ومقاتل.

قال الشوكاني في «فتح القدير» (٥/ ٦٣٤): «وَهَذَا لَا يُنَافِي الْقَوْلَ الْأَوَّلَ؛ لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ هَذَا أَصْلَ مَعْنَىٰ: (**الصَّمَدِ**)، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي: السَّيِّدِ الْمَصْمُودِ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ، وَلِهَذَا أَطْبَقَ عَلَىٰ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ أَهْلُ اللُّغَةِ وَجُمْهُورُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ».

(١) في الأصل: [﴿لَمْ يَلِدْ﴾: أي لا يفنىٰ إذ لا شيء يلد إلا وهو فان بائد لا محالة].

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٩٣ - ٦٩٤)، وأبو الشيخ في «العظمة» (رقم ٩٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (رقم ٩٨)، بإسناد حسن، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، في قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، قَالَ: «**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَسُبْحَانَ اللهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**»، وقال أَبُو الْعَالِيَةِ: «**لَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ، وَلَا عَدْلٌ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**»، وهو أيضا قول أبي بن كعب وكعب الأحبار وعطاء وابن جريج، واختاره ابن جرير الطبري (٢٤/ ٦٩٤).

صَاحِبَةٌ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ؛ لَا فِي أَسْمَائِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَتَقَدَّسَ-»(١).

فَهُوَ الإِلَهُ الحَقُّ الَّذِي لَا تَنْبَغِي الْأُلُوهِيَّةُ إِلَّا لَهُ، وَلَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، وَهُوَ السَّيِّدُ المَقْصُودُ فِي قَضَاءِ الحَوَائِجِ الَّذِي اسْتَغْنَىٰ عَنْ كُلِّ خَلْقِهِ، وَافْتَقَرَ الْكُلُّ إِلَيهِ.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾: أَيْ لَمْ يَكُنْ وَلَدٌ؛ لِانْتِفَاءِ مَنْ يُجَانِسُهُ؛ إِذِ الْوَلَدُ يُجَانِسُ وَالِدَهُ، وَالمُجَانَسَةُ مَنْفِيَّةٌ عَنْهُ تَعَالَىٰ؛ إِذْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾: لانْتِفَاءِ الحُدُوثِ عَنْهُ تَعَالَىٰ.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾: أَيْ: وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ كُفُوًا لَهُ، وَلَا مَثِيلًا وَلَا نَظِيرًا؛ إِذْ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وَلِذَا فَهُوَ سُبْحَانَهُ يُعَرَّفُ بِالْأَحَدِيَّةِ وَالصَّمَدِيَّةِ.

فَالْأَحَدِيَّةُ: أَنَّهُ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوٌ، وَلَا شَبِيهٌ وَلَا نَظِيرٌ.

وَالصَّمَدِيَّةُ: أَنَّهُ المُسْتَغْنِي عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ(٢)، وَالْكُلُّ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ فِي وُجُودِهِ وَبَقَائِهِ.

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٦٠٤).

(٢) عزىٰ هذا القول الماوردي في «تفسيره» (٦/ ٣٧٢) لأبي هريرة رضي الله عنه، وهو بمعنىٰ قول شقيق، والله أعلم.

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ(١):

قُلْ يَا مُحَمَّدُ قَوْلًا جَازِمًا بِهِ، مُعْتَقِدًا لَهُ، عَارِفًا لِمَعْنَاهُ؛ رَدًّا عَلَىٰ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا لَهُ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، كَمَا أَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ»(٢)، بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ: عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه: «أَنَّ المُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ جَلَّوَعَلَا هَذِهِ السُّورَةَ».

فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدً قَوْلًا جَازِمًا بِهِ، مُعْتَقِدًا لَهُ، عَارِفًا بِمَعْنَاهُ: اللهُ أَحَدٌ، لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا مَثِيلَ وَلَا نَظِيرَ لَهُ.

وَالصَّمَدُ هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي يُصْمَدُ إِلَيْهِ، فَيَصْمُدُ إِلَيهِ الخَلَائِقُ فِي حَوَائِجِهِمْ، وَيَقْصِدُونَهُ فِي جَلْبِ النَّفْعِ وَدَفْعِ الضُّرِّ عَنْهُمْ.

وَتِلْكَ هِيَ صِفَاتُ الإِلَهِ الحَقِّ المَعْبُودِ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ، وَلَا وَالِدٌ، وَلَا صَاحِبَةٌ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ أَحَدٌ كُفُوًا، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٩٣٧).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٥/ ١٣٣ - ١٣٤، رقم ٢١٢١٩)، وأخرجه أيضا الترمذي في «الجامع» في (كتاب التفسير، باب ٩٣، رقم ٣٣٦٤)، وأعله بالإرسال، وقواه بشواهده الألباني في «الضعيفة» (١١/ ٣٥٠، رقم ٥٢٠٦).

تُسَمَّىٰ هَذِهِ السُّورَةُ: سُورَةَ الإِخْلَاصِ؛ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي فَضْلِهَا: «**إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»(١).

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في (كتاب فضائل القرآن، باب ١٣، رقم ٥٠١٣ و٥٠١٤ و٥٠١٥) وفي مواضع، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، وأخرجه أيضا مسلم في «صحيحه» في (كتاب صلاة المسافرين، باب ٤٥، رقم ٨١١)، من حديث: أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، وفيه أيضا (رقم ٨١٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

١- فِي السُّورَةِ: تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُثْبِتُونَ للهِ جَلَّ وَعَلَا مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَيَنْفُونَ عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ، أَوْ نَفَاهُ عَنْهُ رَسُولُهُ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ.

٢- وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ: رَدٌّ عَلَىٰ جَمِيعِ طَوَائِفِ الشِّرْكِ وَالضَّلَالِ الَّذِينَ نَسَبُوا للهِ الْوَلَدَ -تَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا-.

٣- وَفِيهَا: أَنَّ كُلَّ صِفَةِ كَمَالٍ فَاللهُ أَوْلَىٰ بِهَا، وَأَنَّ كُلَّ صِفَةِ نَقْصٍ فَاللهُ تَعَالَىٰ مُنَزَّهٌ عَنْهَا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمونَ عُلُوًّا كَبِيرًا-.

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ الْفَلَقِ

* سُورَةُ الْفَلَقِ مَكِّيَّةٌ، وَفِيهَا تَعْلِيمٌ لِلْعِبَادِ أَنْ يَلْجَئُوا إِلَىٰ حِمَىٰ الرَّحْمَنِ، وَيَسْتَعِيذُوا بِجَلَالِهِ وَسُلْطَانِهِ، مِنْ شَرِّ مَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ شَرِّ اللَّيْلِ إِذَا أَظْلَمَ، لِمَا يُصِيبُ النُّفُوسَ فِيهِ مِنَ الْوَحْشَةِ، وَلِانْتِشَارِ الْأَشْرَارِ وَالْفُجَّارِ فِيهِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ وَسَاحِرٍ، وَهِيَ إِحْدَىٰ الْمُعَوِّذَتَيْنِ اللَّتَيْنِ كَانَ ﷺ يُعَوِّذُ نَفْسَهُ بِهِمَا.

جامعة منهاج النبوة www.menhag-un.com

سُورَةُ الْفَلَقِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا خَمْسُ آيَاتٍ

الآيات من: ١ إلى: (٥) نهاية السورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾.

www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾: ﴿أَعُوذُ﴾: أَلُوذُ، وَأَعْتَصِمُ، وَأَلْتَجِئُ مُعْتَصِمًا بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَالْفَلَقُ: الصُّبْحُ(٢)، وَهُوَ اخْتِيَارُ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣).

«قُلْ يَا مُحَمَّدُ: أَعُوذُ، وَأَعْتَصِمُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَهُوَ الصُّبْحُ»(٤).

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾: مِنْ حَيَوَانٍ، وَجَمَادٍ، وَغَيْرِهِ.

«﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾: مِنْ شَرِّ لَيْلٍ شَدِيدِ الظُّلْمَةِ، ﴿إِذَا وَقَبَ﴾: إِذَا دَخَلَ وَتَغَلْغَلَ، وَمَا فِيهِ مِنَ الشُّرُورِ وَالْمُؤْذِيَاتِ»(٥).

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦٢٩ - ٦٣٠).

(٢) أخرج عبد الرحمن بن الحسن في «تفسير مجاهد» (ص٧٦١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٠١)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «**الْفَلَقُ: الصُّبْحُ**»، وذكره البخاري في «صحيحه» معلقا في (كتاب التفسير، سورة ١١٣)، وروي نحوه عن جابر وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وهو قول محمد بن كعب القرظي والحسن وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد، واختاره ابن جرير الطبري (٢٤/ ٧٠١ - ٧٠٢).

(٣) «صحيحه» في (كتاب التفسير، سورة ١١٣)، قال: «قَالَ مُجَاهِدٌ: الفَلَقُ: الصُّبْحُ، وَ﴿غَاسِقٍ﴾: اللَّيْلُ، ﴿إِذَا وَقَبَ﴾: غُرُوبُ الشَّمْسِ، يُقَالُ: أَبْيَنُ مِنْ فَرَقٍ وَفَلَقِ الصُّبْحِ».

(٤) «التفسير الميسر» (ص٦٠٤).

(٥) المصدر السابق، وهو معنىٰ قول مجاهد، الذي أخرجه عبد الرحمن بن الحسن في =

www.menhaj.com

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾: اللَّيْلُ إِذَا أَظْلَمَ أَوِ الْقَمَرُ [إِذَا طَلَعَ][(١)]؛ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الَّذِي أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ[(٢)]: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- بِيَدِي أَرَانِي الْقَمَرَ حِينَ يَطْلُعُ، وَقَالَ: «**تَعَوَّذِي بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ**».

=

«تفسير مجاهد» (ص٧٦١)، والحربي في «غريب الحديث» (٢/ ٧١٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٠٢)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿غَاسِقٍ﴾، قَالَ: «**اللَّيْلُ**»، ﴿إِذَا وَقَبَ﴾، قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ**»، وهو قول ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب القرظي.

(١) في «أيسر التفاسير»: [**إِذَا غَابَ**].

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع» في (كتاب التفسير، باب ٩٤، رقم ٣٣٦٦)، بلفظ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَظَرَ إِلَىٰ القَمَرِ، فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ اسْتَعِيذِي بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ**»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١/ رقم ٣٧٢).

قال البغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٩٥) بعد إخراجه لهذا الحديث: «فَعَلَىٰ هَذَا: الْمُرَادُ بِهِ: الْقَمَرُ إِذَا خَسَفَ وَاسْوَدَّ، ﴿وَقَبَ﴾، أَيْ: دَخَلَ فِي الْخُسُوفِ وَأَخَذَ فِي الْغَيْبُوبَةِ وَأَظْلَمَ»، وقال الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٠٤): «وأولىٰ الأقوال في ذلك عندي بالصواب: أن يقال: إن الله أمر نبيه ﷺ أن يستعيذ ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾، وهو الذي يُظْلم، يقال: قد غَسَق الليل يَغْسُق غسوقا: إذا أظلم، ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ يعني: إذا دخل في ظلامه؛ والليل إذا دخل في ظلامه غاسق، والنجم إذا أفل غاسق، والقمر غاسق إذا وقب، ولم يخصص بعض ذلك بل عمّ الأمر بذلك، فكلّ غاسق، فإنه ﷺ كان يُؤمر بالاستعاذة من شره إذا وقب».

إِذَا دَخَلَ ظَلَامُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، إِذَا فَسَّرْتَ الْغَاسِقَ بِاللَّيْلِ، وَإِذَا فَسَّرْتَ الْغَاسِقَ بِالْقَمَرِ حِينَ يَطْلُعُ -كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي وَصْفِ مَا كَانَ- فَهُوَ الْقَمَرُ إِذَا طَلَعَ.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾: النَّفَّاثَات: السَّوَاحِرُ يَعْقُدْنَ الخَيْطَ؛ لِيَنْفُثْنَ فِيهِ السِّحْرَ فِيمَا يَعْقِدْنَ مِنْ خَيْطٍ فِي الْعُقَدِ.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: إِذَا أَظْهَرَ حَسَدَهُ وَأَعْمَلَهُ.

«وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ مُبْغِضٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ مَا وَهَبَهُمُ اللهُ مِنْ نِعَمٍ، يُرِيدُ زَوَالَهَا عَنْهُمْ»(١).

﴿إِذَا حَسَدَ﴾: إِذَا جَعَلَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ لَا يَضُرُّهُ، فَمَا خَلَا جَسَدٌ مِنْ حَسَدٍ، لَكِنَّ اللَّئِيمَ يُبْدِيهِ وَالْكَرِيمَ يُخْفِيهِ، وَلما سُئِلَ الحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيَحْسُدُ المُؤْمِنُ؟ قَالَ: «وَيْحَكَ، وَمَا أَنْسَاكَ إِخْوَةَ يُوسُفَ؟!»(٢). وَهُمْ مُؤْمِنُونَ بِاتِّفَاقٍ، وَمَعَ ذَلِكَ

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٦٠٤)، وهذا معنىٰ قول قتادة، الذي أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٧٤٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٠٥)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، قَالَ: «**مِنْ شَرِّ عَيْنِهِ وَنَفْسِهِ**»، أي: من شرّ كلّ حاسد إذا حسد، واختاره ابن جرير الطبري (٢٤/ ٧٠٥ - ٧٠٦)، وقال: «لأن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يخصص من قوله: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ حاسدا دون حاسد، بل عمّ أمره إياه بالإستعاذة من شرّ كلّ حاسد، فذلك علىٰ عمومه».

(٢) أخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٦٤٢)، وابن حبان في «روضة العقلاء» -
=

حَسَدُوا أَخَاهُمْ، حَتَّىٰ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَعَهُمْ مَا كَانَ، فَحَسَدُوهُ، وَأَوْقَعُوا عَلَيْهِ مَا أَوْقَعُوهُ، وَهُمْ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ.

فَمَا خَلَا جَسَدٌ مِنْ حَسَدٍ، وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ يُخْفِيهِ وَاللَّئِيمَ يُبْدِيهِ.

هَلْ يَضُرُّكَ إِذَا وَجَدْتَهُ فِي نَفْسِكَ؟

لَا يَضُرُّكَ إِلَّا إِذَا عَدَّيْتَ بِهِ يَدًا أَوْ لِسَانًا، وَإِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ فَعَلَيْكَ أَنْ تُبَرِّكَ عَلَيْهِ، سَوَاءٌ كَانَ مِنْ مَالِكَ أَوْ مِنْ مَالِ أَخِيكَ، وَأَنْ تَسْأَلَ اللهَ الزِّيَادَةَ لَكَ وَلَهُ.

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَقِينَا شَرَّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ.

❁ ❁ ❁

= تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية- (ص١٣٦)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «التوبيخ والتنبيه» (رقم ٧٢)، بإسناد صحيح، عَنْ حُمَيْدٍ، قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ الْحَسَنَ، فَقَالَ: «يَا أَبَا سَعِيدٍ أَيَحْسُدُ الْمُؤْمِنُ؟» قَالَ: «**لَا أَبَا لَكَ، أَمَا أَنْسَاكَ بَنِي يَعْقُوبَ حَيْثُ حَسَدُوا يُوسُفَ**»، قَالَ: «**نَعَمْ، وَلَكِنْ غُمَّ الْحَسَدَ فِي صَدْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ مَا لَمْ يَعْدُ لِسَانَكَ، أَوْ تَعْمَلْ بِهِ يَدُكَ**».

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ بِالِالْتِجَاءِ إِلَىٰ رَبِّ الْفَلَقِ، وَالِاعْتِصَامِ بِهِ، وَأَنْ يَسْتَعِيذَ مِنْ شَرِّ جَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ، وَمِنْ شَرِّ اللَّيْلِ إِذَا دَخَلَ بِظَلَامِهِ، وَمِنْ شَرِّ الْقَمَرِ إِذَا طَلَعَ؛ لِأَنَّهُ أَوَانُ عَقْدِ الْعُقَدِ مَعَ النَّفْثِ فِيهَا سِحْرًا مِنَ السَّوَاحِرِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَعِيذَ مِنْ شَرِّ السَّوَاحِرِ إِذَا رَقَيْنَ، وَنَفَثْنَ فِي عُقَدِ الخَيْطِ، وَمِنْ شَرِّ أَيِّ حَاسِدٍ إِذَا أَظْهَرَ حَسَدَهُ، وَعَمِلَ بِهِ.

وَالحَسَدُ لَيْسَ كَمَا يَظُنُّ النَّاسُ، إِنَّ الشَّائِعَ عِنْدَ النَّاسِ أَنَّ الحَسَدَ تَمَنِّي زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنِ المَحْسُودِ، هَذَا خَطَأٌ كَبِيرٌ.

وَإِنَّمَا الحَسَدُ: كَرَاهَةُ النِّعْمَةِ عَلَىٰ المَحْسُودِ، فَإِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ كَرَاهَةَ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَىٰ أَخِيكَ؛ فَأَنْتَ لَهُ حَاسِدٌ، لَا أَنْ تَتَمَنَّىٰ زَوَالَ النِّعْمَةِ؛ هَذَا إِغْرَاقٌ وَإِيغَالٌ فِي الحَسَدِ.

وَأَمَّا الحَسَدُ فَهُوَ كَرَاهَةُ النِّعْمَةِ عَلَىٰ المَحْسُودِ، إِذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَىٰ أَخِيكَ بِنِعْمَةٍ كَرِهْتَهَا؛ فَأَنْتَ لَهُ حَاسِدٌ، فَاسْتَغْفِرْ رَبَّكَ، وَادْعُ لَهُ فَقَدْ ظَلَمْتَهُ؛ لِأَنَّ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْهِ هُوَ مَنْ لَا يُرَاجَعُ وَهُوَ اللهُ، وَلَهُ فِي الْغِنَىٰ عَلَيْهِ حِكْمَةٌ، وَفِي

التَّضْييقِ عَلَيكَ حِكْمَةٌ، وَلَوْ أَنَّهُ وَسَّعَ عَلَيكَ لَرُبَّمَا ضَرَّكَ التَّوْسِيعُ، وَالْأَمْرُ للهِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ.

الخِطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ عَامٌّ لِلْأُمَّةِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ(١):

١- فِي الْآيَاتِ: الْأَمْرُ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الشُّرُورِ عُمُومًا وَخُصُوصًا، فَتَتَوَجَّبُ الِاسْتِعَاذَةُ بِجَنَابِهِ تَعَالَىٰ مِنْ كُلِّ مَخُوفٍ، لَا يَقْدِرُ المَرْءُ عَلَىٰ دَفْعِهِ لِخَفَائِهِ، أَوْ عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ.

٢- وَدَلَّتِ الآيَاتُ عَلَىٰ أَنَّ السِّحْرَ لَهُ حَقِيقَةٌ، يُخْشَىٰ مِنْ ضَرَرِهِ، وَيُسْتَعَاذُ بِاللهِ مِنْهُ وَمِنْ أَهْلِهِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ سَاحِرٍ وَحَاسِدٍ، فَأَعِذْنَا، وَأَغِثْنَا يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: تَحْرِيمُ النَّفْثِ فِي الْعُقُدِ؛ إِذْ هُوَ مِنَ السِّحْرِ، وَالسِّحْرُ كُفْرٌ، وَحَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ.

٤- وفِي الْآيَاتِ: التَّنْبِيهُ عَلَىٰ أَنَّ الحَسَدَ مِنْ أَقْبَحِ الخِصَالِ، وَأَشَدِّهَا ضَرَرًا؛ وَلِذَا خُتِمَتْ هَذِهِ السُّورَةُ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ الحَاسِدِينَ.

وَالْغِبْطَةُ لَيْسَتْ مِنَ الحَسَدِ كَمَا فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ**»(٢).

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٩٣٧)، و«أيسر التفاسير» (٥/ ٦٣١).

(٢) أخرجه البخاري في (فضائل القرآن، باب ٢٠، رقم ٥٠٢٥) وفي (التوحيد، باب ٤٥، =

هَذِهِ هِيَ الْغِبْطَةُ، أَنْ تَتَمَنَّىٰ أَنْ يَكُونَ لَكَ كَمِثْلِ أَخِيكَ، مَعَ التَّبْرِيكِ عَلَىٰ مَا آتَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَالدُّعَاءِ لَهُ بِالْبَرَكَةِ فِيهِ.

فَالمُرَادُ بِقَوْلِهِ ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ**»: الْغِبْطَةُ، لَا أَنْ تَكْرَهَ النِّعْمَةَ عَلَىٰ أَخِيكَ، وَإِنَّمَا أَنْ تَتَمَنَّىٰ أَنْ يَكُونَ لَكَ كَمِثْلِ أَخِيكَ، أَوْ أَفْضَلَ مِمَّا آتَىٰ اللهُ أَخًا لَكَ، وَاللهُ هُوَ الجَوَادُ الْكَرِيمُ.

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِالخَيرِ كُلِّهِ، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَأَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَىٰ الهُدَىٰ وَالحَقِّ حَتَّىٰ نَلْقَىٰ وَجْهَهُ الْكَرِيمَ، وَأَنْ يُجَنِّبَنَا الزَّلَلَ، وَالزَّيْغَ وَالْبِدْعَةَ؛ إِنَّهُ هُوَ الجَوَادُ الْكَرِيمُ.

❁❁❁

=

رقم ٧٥٢٩)، ومسلم في (صلاة المسافرين، باب ٤٧، رقم ٨١٥)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ**».

والحديث أيضا في «الصحيحين» من حديث: ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفي «صحيح البخاري» من حديث: أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ النَّاسِ

* سُورَةُ النَّاسِ مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ ثَانِي الْمُعَوِّذَتَيْنِ، وَفِيهَا الِاسْتِجَارَةُ وَالِاحْتِمَاءُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، مِنْ شَرِّ أَعْدَىٰ الْأَعْدَاءِ، إِبْلِيسَ وَأَعْوَانِهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، الَّذِينَ يَغْوُونَ النَّاسَ بِأَنْوَاعِ الْوَسْوَسَةِ وَالْإِغْوَاءِ.

* وَقَدْ خُتِمَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ وَبُدِئَ بِالْفَاتِحَةِ، لِيَجْمَعَ بَيْنَ حُسْنِ الْبَدْءِ، وَحُسْنِ الْخَتْمِ، وَذَلِكَ غَايَةُ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ يَسْتَعِينُ بِاللهِ وَيَلْتَجِئُ إِلَيْهِ، مِنْ بِدَايَةِ الْأَمْرِ إِلَىٰ نِهَايَتِهِ.

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

سُورَةُ النَّاسِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا سِتُّ آيَاتٍ

الآيات من: ١ إلى: (٦) نهاية السورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾.

www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾: أَعُوذُ: أَعْتَصِمُ، وَأَسْتَجِيرُ، وَأَلُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، الْقَادِرِ وَحْدَهُ عَلَىٰ رَدِّ شَرِّ الْوَسْوَاسِ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾: يُرَبِّيهِمْ بِنِعَمِهِ.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾: مَالِكُهُمْ، وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهِمْ.

﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾: مَعْبُودُهُمُ الحَقُّ.

وَهَذِهِ ثَلَاثُ صِفَاتٍ: الرُّبُوبِيَّةُ، وَالْمُلْكُ، وَالإِلَهِيَّةُ.

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾.

«قُلْ يَا مُحَمَّدُ: أَعْتَصِمُ بِرَبِّ النَّاسِ، الْقَادِرِ وَحْدَهُ عَلَىٰ رَدِّ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ، هُوَ مَلِكُ النَّاسِ، الْمُتَصَرِّفُ فِي كُلِّ شُئُونِهِمْ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْهُمْ، وَهُوَ إِلَهُ النَّاسِ الَّذِي لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ سِوَاهُ.

أَعْتَصِمُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ، إِلَهِ النَّاسِ مِنْ أَذَىٰ الشَّيْطَانِ الَّذِي يُوَسْوِسُ عِنْدَ الْغَفْلَةِ، وَيَخْتَفِي عِنْدَ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ»(٢).

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٥٩٧)، و«تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٤٠).

(٢) «التفسير الميسر» (ص٦٠٤).

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾: وَالْوَسْوَاسِ: يَكُونُ اسْمًا، وَيَكُونُ صِفَةً.

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾: الشَّيْطَانُ، ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾: الرَّجَّاعُ الَّذِي يَرْجِعُ إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ، فَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ رَجَعَ فَوَضَعَ رَأْسَهُ، فَيَخْنَسُ، وَيَتَرَاجَعُ إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ، فَهُوَ وَسْوَاسٌ خَنَّاسٌ،

«يَبُثُّ الشَّرَّ وَالشُّكُوكَ فِي صُدُورِ النَّاسِ»(١).

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾؛ يُلْقِي أَحَادِيثَ السُّوءِ فِي صُدُورِ النَّاسِ؛ بِالْكَلَامِ الخَفِيِّ الَّذِي يَصِلُ مَفْهُومُهُ إِلَىٰ الْقَلْبِ مِنْ غَيرِ سَمَاعٍ.

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾: بِالْكَلَامِ الخَفِيِّ الَّذِي يَصِلُ مَفْهُومُهُ إِلَىٰ الْقَلْبِ مِنْ غَيرِ سَمَاعٍ.

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾: هَلْ يَخْتَصُّ هَذَا بِبَنِي آدَمَ كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ، أَوْ يَعُمُّ بَنِي آدَمَ وَالجِنَّ؟

قَوْلَانِ: وَيَكُونُونَ -أَيِ الجِنُّ- قَدْ دَخَلُوا فِي لَفْظِ النَّاسِ تَغْلِيبًا عَلَىٰ الْقَولِ الثَّانِي، يَعْنِي: إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَالنَّاسُ هُمُ النَّاسُ مِنْ بَنِي آدَمَ(٢)، أَوْ يَدْخُلُ الجِنُّ مَعَ الإِنْسِ(٣).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) وهو قول الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٣٨١)، وقال: «**المعنىٰ: مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ، ومِنْ شَرِّ النَّاسِ**»، فيكون (الناس) معطوفا علىٰ (الوسواس).

(٣) وهو قول الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٣٠٢)، وابن جرير الطبري كما سيأتي.

فهَذَا هُوَ الْقَوْلُ الثَّانِي، فَيَدْخُلُ الجِنُّ فِي لَفْظِ النَّاسِ تَغْلِيبًا، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ(١): «قَدِ اُسْتُعْمِلَ فِيهِمْ -كَمَا فِي الْقُرآنِ- رِجَالٌ مِنَ الجِنِّ، فَلَا بِدَعَ فِي إِطْلَاقِ النَّاسِ عَلَيْهِم: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]».

فَاسْتُعْمِلَ فِيهِمْ: ﴿رِجَالٌ مِنَ الجِنِّ﴾، فَلَا بِدَعَ فِي إِطْلَاقِ النَّاسِ عَلَيْهِم.

وَقَوْلُهُ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ هَلْ هُوَ تَفْصِيلٌ لِقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾، ثُمَّ بَيَّنَهُمْ فَقَالَ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

هَذَا -إِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ- يُقَوِّي الْقَوْلَ الثَّانِي: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

وَقِيلَ: قَوْلُهُ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾: تَفْسِيرٌ لِلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، فَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ هُوَ مِنَ الإِنْسِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

بَلْ إِنَّ شَيْطَانَ الجِنِّ إِذَا ذَكَرَتَ اللهَ خَنَسَ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الإِنْسِ فَلَوْ قَرَأْتَ عَلَيْهِ الخَتْمَةَ مَا ازْدَادَ إِلَّا عُتُوًّا، نَسْأَلُ اللهَ الْعِصْمَةَ مِنْ هَذَا وَهَذَا.

(١) «تفسيره» (٢٤/ ٧١١).

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ(١):

أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ وَالِالْتِجَاءِ إِلَيهِ، فَهُوَ رَبُّ النَّاسِ وَمَالِكُهُمْ، وَالمُتَصَرِّفُ فِيهِمْ، وَمُدَبِّرُ أُمُورِهِمْ، وَهُوَ إِلَهُ النَّاسِ وَمَعْبُودُهُمُ، الَّذِي لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ غَيْرُهُ، وَلَهُ سُبْحَانَهُ الرُّبُوبِيَّةُ، وَالمُلْكُ، وَالْأُلُوهِيَّةُ.

وَجُمْلَةُ هَذِهِ الِاسْتِعَاذَاتِ تَكُونُ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ فَهُوَ الْوَسْوَاسُ، سُمِّيَ بِفِعْلِهِ؛ مُبَالَغَةً، أَيْ: هُوَ كَثِيرُ الْوَسْوَسَةِ، وَهُوَ أَيْضًا الخَنَّاسُ، الَّذِي مِنْ عَادَتِهِ أَنْ يَخْنَسَ، وَيَتَأَخَّرَ إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ، وَإِذَا غَفَلَ رَجَعَ وَوَسْوَسَ.

وَالَّذِي دَأْبُهُ الْوَسْوَسَةُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ، وَوَسْوَسَتُهُ: الدَّعْوَةُ لِطَاعَتِهِ، فَهُوَ دَاعِيَةٌ! وَلَكِنَّهُ دَاعِيَةُ كُفْرٍ وَسُوءٍ، وَالشَّيْطَانُ لَا يَتَوَانَىٰ عَنِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ كُفْرِهِ وَشِرْكِهِ، نَسْأَلُ اللهَ الْعِصْمَةَ مِنْ ذَلِكَ.

الْوَسْوَسَةُ: الصَّوْتُ الخَفِيُّ، وَلَيْسَتِ الْوَسْوَسَةُ قَاصِرَةً عَلَىٰ الجِنِّ وَشَيَاطِينِهِمْ، بَلْ فِي الإِنْسِ شَيَاطِينُ يُوَسْوِسُونَ، وَيَدْعُونَ إِلَىٰ الْبَاطِلِ وَطُرُقِ الشَّرِّ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾: أَيِ الَّذِينَ يُوَسْوِسُونَ: بَعْضُهُمْ مِنْ شَيَاطِينِ

(١) «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٢٦١ - ٢٦٤)، و«فتح القدير» (٥/ ٦٤٢ - ٦٤٤)، و«تفسير السعدي» (ص٩٣٧).

الجِنِّ يُوَسْوِسُونَ فِي الصُّدُورِ، وَبَعْضُهُمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ يُوَسْوِسُونَ عَلَانِيَةً، فَأَمَرَ اللهُ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنَ الْفَرِيقَينِ، وَالِالْتِجَاءِ إِلَيهِ تَعَالَىٰ مِنْ شُرُورِهِمْ.

وَهَذِهِ السُّورَةُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَىٰ الِاسْتِعَاذَةِ بِرَبِّ النَّاسِ، وَمَالِكِهِمْ، وَإِلَهِهِمْ مِنَ الشَّيْطَانِ، الَّذِي هُوَ أَصْلُ الشُّرُورِ كُلِّهَا وَمَادَّتُهَا، الَّذِي مِنْ فِتْنَتِهِ وَشَرِّهِ أَنَّهُ يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، فَيُحَسِّنُ لَهُمُ الشَّرَّ، وَيُرِيهِمُ الشَّرَّ فِي صُورَةِ حَسَنَةٍ، وَيُنَشِّطُ إِرَادَتَهُمْ لِفِعْلِهِ، وَيُثَبِّطُهُمْ عَنِ الخَيْرِ، وَيُرِيهِمْ إِيَّاهُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ.

وَهُوَ دَائِمًا بِهَذَا الحَالِ؛ يُوَسْوِسُ، ثُمَّ يَخْنَسُ يَتَأَخَّرُ عَنِ الْوَسْوَسَةِ إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ، وَاسْتَعَانَ بِرَبِّهِ عَلَىٰ دَفْعِهِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَعِينَ بِاللهِ، وَأَنْ يَسْتَعِيذَ بِهِ، وَأَنْ يَعْتَصِمَ بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ، وَالْوَسْوَاسُ كَمَا يَكُونُ مِنَ الجِنِّ يَكُونُ مِنَ الْإِنْسِ.

وَالشَّيْطَانُ لَهُ طُرُقٌ، وَحِيَلٌ خَفِيَّةٌ وَظَاهِرَةٌ، فَأَحْيَانًا يَدْعُو الْعَبْدَ إِلَىٰ خَصْلَةٍ مِنْ خِصَالِ الخَيرِ؛ لِكَي يُوَرِّطَهُ فِي خِصَالٍ مِنْ خِصَالِ الشَّرِّ، وَرُبَّمَا دَعَاهُ، وَزَيَّنَ لَهُ المَفْضُولَ؛ لِكَيْ يُفَوِّتَ عَلَيْهِ أَجْرَ الْعَمَلِ بِالْفَاضِلِ.

فَإِنَّهُ مَا يَزَالُ حَرِيصًا عَلَىٰ إِغْوَاءِ الْعَبْدِ وَالسَّعْيِ فِي إِهْلَاكِهِ؛ لِأَنَّهَا هِيَ الْمَعْرَكَةُ الَّتِي بَيْنَهُ، وَبَيْنَ آدَمَ وَبَنِيهِ، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَعْصِمَنَا مِنْ ذَلِكَ؛ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

www.mennag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ[١]:

١- فِي الْآيَاتِ: وُجُوبُ الِاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ تَعَالَىٰ مِنْ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ، وَقَدِ اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ الْعَظِيمَةُ عَلَىٰ ثَلَاثِ صِفَاتٍ لِلرَّبِّ جَلَّوَعَلَا؛ هِيَ: الرُّبُوبِيَّةُ، وَالمُلْكُ، وَالْأُلُوهِيَّةُ، وَأَمَرَ المُسْتَعِيذَ بِأَنْ يَتَعَوَّذَ بِالمُتَّصِفِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ.

٢- وَفِيهَا: تَقْرِيرُ رُبُوبِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَإِلَهِيَّتِهِ ﷻ، مَعَ بَيَانِ تَمَامِ مُلْكِهِ سُبْحَانَهُ.

٣- وَفِيهَا: الْأَمْرُ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ مِنْ جَمِيعِ الشَّيَاطِينِ: إِنْسِهِمْ وَجِنِّهِمْ.

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦٣٣).

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

خَاتِمَةٌ

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ، وَبَارَكَ عَلَىٰ عَبْدِهِ، وَنَبِيِّهِ، وَصَفِيِّهِ، وَخَلِيلِهِ، وَكَلِيمِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ، وَأَتْبَاعِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الإِخْلَاصَ فِي الْقَصْدِ وَالنِّيَّةِ، وَنَسْأَلُكَ الإِحْسَانَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَنَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ المَمَاتِ؛ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ، الْعَظِيمُ، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْكَرِيمُ، المَنَّانُ، يَا ذَا الحَوْلِ وَالطَّولِ، يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا، وَلَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ، وَيَا ذَا الْقُوَّةِ المَتِينِ.

وَقَدْ كَانَ هَذَا التَّفْسِيرُ لِلْجُزْءِ الثَّلَاثِينَ «**جُزْءِ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ**» فِي مَجَالِسَ فِي الْمَسْجِدِ الشَّرْقِيِّ، فِي سُبْكِ الأَحَدِ مِنْ أَعْمَالِ مُدِيرِيَّةِ المُنُوفِيَّةِ بِمِصْرَ -حَفِظَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ، وَحَرَسَهَا، وَجَمِيعَ بِلَادَ المُسْلِمِينَ-.

www.mennag-un.com

وَآخِرُ هَذِهِ المَجَالِسِ فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ الثَّانِي مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ لِسَنَةِ ١٤٣٠هـ، مِنْ هِجْرَةِ النَّبِيِّ المُخْتَارِ ﷺ، المُوَافِق لِلثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ الأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٢٠٠٩م مِنْ مِيلَادِ عَبدِ اللهِ، وَكَلِمَتِهِ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ، وَرُوحٍ مِنْهُ عِيْسَىٰ ابنِ مَرْيَمَ -عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَىٰ التَّسْلِيمِ-.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالمينَ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com